

أضواء البيان

@ 47 @ ويتمنى أنه لم يتخذ من أضله خليلاً ، ذكره في غير هذا الموضع ، أما دعاء الكفار بالويل : فقد تقدم في قوله تعالى : { وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا * لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا } وأما تمنيتهم لعدم طاعة من أضلهم ، فقد ذكره أيضاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَّبِعُ آبَاءَ مَنْ هُمْ كَمَا تَتَّبِعُونَ } فلفظة لو في قوله { لَوْ أَنْ لَنَا كَرَّةٌ } للتمني ، ولذلك نصب الفعل المضارع بعد الفاء في قوله { فَنَتَّبِعُ آبَاءَ مَنْ هُمْ } الآية . وهو دليل واضح على ندمهم على موالاتهم ، وطاعتهم في الدنيا ، وما ذكره جل وعلا هنا من أن أخلاء الضلال من شياطين الإنس والجن ، يضلون أخلاءهم عن الذكر بعد إذ جاءهم ذكره في غير هذا الموضع كقوله تعالى : { وَإِذْ خَوَّاهُمْ بِمُتَدَبِّرِهِمْ فِي الْغَيْبِ ثُمَّ لَا يُلْقُونَ } وقوله تعالى : { وَقَالُوا لَوْ لَنَا قُرْآنٌ فَزَيَّنَّا لَكُمْ مِنْهُ آيَاتٍ لَقَدْ نَجَّيْتُمْ لَكُمْ تَرْسًا فَزَيَّنَّا لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ لِيُثْبِتُ بِهِمْ } الآية وقوله تعالى : { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَوْمَ مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدَرُوا سَكَنَهُمْ مِّنَ الْإِنسِ } ، وقوله تعالى : { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَوْمَ مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدَرُوا سَكَنَهُمْ مِّنَ الْإِنسِ } ؛ وقوله تعالى : { وَقَالَ الْيَهُودُ رَبَّنَا إِنَّنَا لَمُعْبُودُونَ لَكَ الْإِسْلَامُ } وقوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا ارْكَبُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لَأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَنَّا لَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ } وقوله تعالى : { وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْدُوعُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ } استضعفوا للذين استكبروا لولا أنهم % إلى غير ذلك من الآيات ، وقوله : تعالى هنا : { وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا } الأظهر أنه من كلام الله ، وليس من كلام الكافر النادم يوم القيامة ، والخذول صيغة مبالغة ، والعرب تقول : خذله إذا ترك نصره مع كونه يترقب النصر منه ، ومنه قوله تعالى : { وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ } وقول الشاعر : % (إن المرء ميتاً بانقضاء حياته % ولكن بأن يبغى عليه فيخذل) .

وقول الآخر : وقول الآخر : % (إن الألى وصفوا قومي لهم فبهم % هذا اعتصم تلق من عاداك

مخدولاً) % .

ومن الآيات الدالة على أن الشيطان يخذل الإنسان قوله تعالى : { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا أَقْضَى الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَتَاهُ بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي } وقوله تعالى : { وَإِذْ زَيَّنَّا لِلْشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَ آيَاتِ الْفِتْنَةِ كَانُوا كَاذِبِينَ } وقوله تعالى في هذه الآية { لَقَدْ أَضَلَّ نَبِيُّ عَنْ الدِّكْرِ } الأظهر أن الذكر القرآن وقوله : { لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا } العرب تطلق لفظة فلان كناية عن العلم : أي لم اتخذ أبيا أو أمية خليلاً ، ويكونون عن علم الأنثى بفلانة ومنه قول عروة بن حزام العذري : % (ألا قاتل الوشاة وقولهم % فلانة أضحت خلة لفلان) % .

وقوله : { بَعْضَ الظَّالِمِينَ } من بعض بكسر العين في الماضي ، يعص بفتحها في المضارع على القياس ، ومنه قول الحارث بن وعلة الدهلي : وقوله : { بَعْضَ الظَّالِمِينَ } من بعض بكسر العين في الماضي ، يعص بفتحها في المضارع على القياس ، ومنه قول الحارث بن وعلة الدهلي : % (الآن لما ابيض مسرأتي % وعصت من نابي على جدم) % .

فإن الرواية المشهورة في البيت عصت بكسر الضاد الأولى وفيها لغة بفتح العين في الماضي ، والكسر أشهر ، وعص تتعدى بعلى كما في الآية وبيت الحارث بن وعلة ، المذكورين وربما عدت بالياء ومنه قوله ابن أبي ربيعة : فإن الرواية المشهورة في البيت عصت بكسر الضاد الأولى وفيها لغة بفتح العين في الماضي ، والكسر أشهر ، وعص تتعدى بعلى كما في الآية وبيت الحارث بن وعلة ، المذكورين وربما عدت بالياء ومنه قوله ابن أبي ربيعة : % (فقلت وعصت بالبنان فضحتني % وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر) % .

وهذه الآية الكريمة تدل على أن قرين السوء ، قد يدخل قرينه النار والتحذير من قرين السوء مشهور معروف ، وقد بين جل وعلا في سورة الصافات : أن رجلاً من أهل الجنة أقسم بالله أن قرينه كاد يرديه أي يهلكه بعذاب النار ، ولكن لطف الله به فتداركه برحمته وإنعامه فهداه وأنقذه من النار ، وذلك في قوله تعالى : { قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي